مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ـــ رقم ISSN 2661-7307
المجلد 05 العدد 01 ـ السنة 2023 ص 36 – 41

الشعر الشعبي في منطقة الأغواط "الشاعر عبد الله بن كريو" أنموذجا

The Popular Poetry in The Region of Laghouat, The Poet Abdellah Ben Kriou As a Model

مساعد نوال[1]*

المدرسة العليا للأساتذة مسعود زغار العلمة، سطيف، *n.messad@ens-setif.dz*

تاريخ الإرسال: 2022/11/02 تاريخ القبول: 2022/12/04 تاريخ: النشر: 2023/01/01

الملخص:

تُعَدُّ منطقة الأغواط من أكثر المناطق الجزائرية ثراءً؛ حيث تشتهر بوجود تراث غنيّ، جعلها تتربَّع على عرش الشعر الشعبي، ويأتي الشاعر "عبد الله بن كريو" في طليعة هؤلاء الشعراء الذي تغنوا بهذه المنطقة، وأشهرهم على الإطلاق، نظرًا لجمال قصائده وبلاغتها، ومواضيعه الهادفة، وفي هذا العرض الموجز سنحاول الغوص في هذا الزخم الإبداعي لهذا الشاعر الفذّ المتفرِّد عن غيره بما تركه من قصائد توحي بعبقريته المميّزة..

الكلمات المفتاحية:

الشّعر الشّعبي, الشّعر الشّعبي الجزائري, منطقة الأغواط، عبد الله بن كريو، شعراء الملحون.

Abstract:

The region of Laghouat is considered as one of the richest regions in Algeria as far as the popular poetry is concerned. It has a rich popular poetry heritage, which makes it the most famous region in that type of poetry. Abdellah Ben Kriou is the most famous popular poet who wrote many excellent poems in which the beauty and the eloquence are obvious with purposeful themes. In these lines we try to discover the poetic creativity of this unique popular poet.

Keyword:

Popular Poetry, Algerian Popular Poetry, The Region of Laghouat, Abdellah Ben Kriou, Melodic Poets.

* المؤلف المرسل:

مقدمة:

الشعر الشعبي هو الشعر الذي يُكتَبُ بلغة عاميَّة ملحونة، وقد يُذكَرُ فيه اسم الشاعر وتاريخ نظم القصيدة في آخرها، وقد لا يُذكر، كما قد يشير الشاعر إلى اسمه برموز يجب على المتلقِّي فهمها ومعرفة محتواها، وتتعدَّد مضامينه ومحتوياته، وتتنوَّع أغراضه حسب هذه المضامين، يُلقَى بشكل ارتجالي في المناسبات الاجتماعية المختلفة، ويأتي على عِدَّة أوزان، تختلف باختلاف المناطق واللهجات، ينتشر في العالم العربي عامة، وفي الجزائر بشكل خاص، أطلق عليه في الجزائر اسم الشعر الشَّعبي أو الشعر الملحون، والمصطلح الأول هو الشَّائع غالبًا.

ينتشر الشعر الشعبي عادةً في المناطق الوسطى من الجزائر، والمناطق الغربية والجنوب، وقد يُصاحب إلقاءه آلات موسيقية معيَّنة كالنَّاي والقصبة والبندير والدربوكة، فَيُغنَّى بأصوات مطربين، تختلف أشكال غنائهم حسب ما هو متوارث في مناطقهم.

وقد تميَّزت مدينة الأغواط كغيرها من المدن الجزائرية بوجود شلة مميَّزة من شعراء الشعر الشعبي، وجاء شعرهم بديعًا من الناحية الفنية، حيث بَرَعُوا في نظم قصائد بقيت شاهدة على جمال لغتهم وفصاحتهم وبلاغتهم، ورقَّة إحساسهم وشهامتهم في أصعب المواقف، ومن أبرز هؤلاء الشعراء نجد الشاعر "عبد الله بن كريو".

1- التعريف بالشاعر:

هو عبد الله بن القاضي الحاج محمد بن الطاهر، ولقب عائلته هو (التّجّي)، وقد اشْتُهِر شاعرنا بابن كرّيو – بتشديد الرَّاء وكسرها وتسكين الواو – [1]وهناك اختلاف بين المؤرخين في مصدر اللّقب "كرّيو" ومعناه.

وُلد ابن كرّيو في مدينة الأغواط، وإليها ينتسب وهو يعتزُّ بانتسابه لهذه المدينة، وقد اختلفت الروايات في تحديد تاريخ ميلاده بالضبط، فقد ذُكر بأنه وُلد في حدود سنة 1869م بالأغواط، ومنهم من قال بأنه وُلد سنة 1871م بالأغواط، أما بالنسبة لتاريخ وفاته فهناك من رجَّح بأنه توفي في 1921/10/26م، ومن قال بأنه توفي في 1921/10/21م والفيصل في هذا الاختلاف هو شهادة وفاته التي ذكرت بأن تاريخ وفاته هو 1921/10/27م عن عمر يناهز خمسين سنة.[2]

أبوه هو الحاج محمد بن الطاهر، ويقال بأنه كان مثقَّفا وقد اشتغل بسلك القضاء مدة 35 سنة. وأمه هي أم النُّون بنت نعيمة، تنتمي إلى نفس قبيلة أبيه؛ قبيلة أولاد التّخِّي، وهي جزء من قبيلة غنيّة ومشهورة بالأغواط، وقد تكفل الشاعر بأمه بعد وفاة والده، لديه أخ من أبيه هو محمد كان إمام مسجد وشاعرًا أيضا، وأخوات هنَّ: سالمة وأم الخير والحمراء.[3]

عاش شاعرنا في بيئة مثقفة، كان أغلب أفرادها شعراء، فأبوه شاعرٌ، وأخوه شاعرٌ، وأخته شاعرة، وهو شاعر، كما أنه أنجب ابنة شاعرة أيضا.[4] تزوج ابنة عمّه بدرة بنت الحاج أحمد، وهي من نفس عائلته، توفِّيت بعد وفاته بخمسَة أو ستة أشهر، ولم ينجب شاعرنا ذكورا، وترك بنتين هما فطيمة الزهراء وخيرة.[5]

لقد نهل عبد الله بن كرّيو الثقافة على عادة أهل زمانه، حيث تعلم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف منذ صباه، كما أنه درس علم الفلك، وعلوم اللغة العربية، وقد استفاد من دروس المدرسة الفرنسية، حيث أهَّلته هذه اللغة للحصول على شهادة الكفاءة للوظيفة، واختار مهنة القضاء،[6] فعمل بمدينة المنيعة ثم بغرداية.

ويقال بأن عمله في المنيعة كان مدبَّرًا بسبب الاستعمار الفرنسي الذي نفاهُ إليها باستخدام خطة خطيرة، هي اتّهامه بالتَّغزُّل بفتاة من عائلة مرموقة وحبه لها.

2- شعره:

ترك الشاعر "عبد الله بن كرّيو" خلفه ديوانا شعريًا حافلًا، تميزت قصائده ببلاغتها وفصاحتها وميلها أحيانا للفكر الفلسفي اليوناني، ولا زالت بعض أفكاره غير مفهومة لدى النُّقاد والباحثين مهما حَاولوا البَحث في معانيها، واستقصاء فحواها، واستكناه بواطنها، وتعدَّدت الأغراض الشعرية التي نظم فيها الشاعر، فجاءت قصائده بديعة، وتؤرِّخ لماضٍ امتلأ وفاض بالأحداث والظروف المختلفة التي عايشها الشاعر.

وسنحاول اختيار بعض المواضيع التي برز فيها الشاعر وأجاد، حيث لا زالت قصائده مَحْفُوظة في الذاكرة الشعبية، يردِّدها الرُّواة والشعراء في مختلف مناطق القطر الجزائري.

أ- الشاعر والمرأة:

يُقال؛ حسب بعض الروايات بأن "عبد الله بن كرّيو" قد هام حبًّا بابنة الزعانين، ولكنه لم يتزوجها، ربما لأسباب تعود إلى عادات كانت متوارثة من العصر الجاهلي، وهي أنه إذا تغزّل الشاعر بإحدى الفتيات، فيمنعها أهلها عنه، ويُمنَع من الزواج بها هروبًا من العار، ويبدو أن هذا مَا حصل مع شاعرنا، لذلك انفجرت قريحته شعرًا فيها، وجاءت قصائده معبّرة عن هذا الفراق الأبدي، والحنين إلى لقياها، وكأنها دُرَّة مكنونه صعبة المنال، أو نجمة متلألئة في سماء بعيدة.

يقول الشاعر في أول قصيدة له في التَّغزّل بابنة الزعانين:

جيتْ انْوَسَّعْ خَاطْرِي ضِيقْ عشيّة زدْتْ عْليهْ هْمُومْ من نَظْراَتْ اصْعَابْ

رْفِيقي مَا له خْبَرْصَاحبْ نيَّة مَا هُو دَارِي بالبلَا مَا شَافْ عْذَابْ

يمْشِي في الامَانْ ويحدَّثْ فيَّ يصَّنَّتْ لي مَا نْرُدْ عْليه وُجَابْ

تْمَاهَل في مَشْيْتُه وُنْظَرْلَيَّ وُتْحَقَّقْ في حَالْتِي مَا هِيشْ صْوَابْ

يَا عَبدْ الله قَالْلِّي عِيدْ عْليَّ وَاشْ جْرَالكْ رَاكْ مَفْتُونْ وَلَوَّابْ[7]

ويكشف الشاعر لمرافقه سبب تكدُّر حاله، وحزنه الظاهر في تصرفاته، ويخبره عن مكنونات قلبه، ويطلب منه اكتشاف اللغز الخفي بنفسه. يقول:

سَاعفْ حَالي يا اللِّي رَاكْ مْعَايَا وُ انْوَرِّيك مْنِينْ دَرْكُوني لَعْطَابْ

يحْسنْ عَوْنكْ ما دْرَيْتشْ مَا بِيَّ واش ايجيبْ اللِّي مْهَنِّي للمُصَابْ؟

اسْتُرْحَالي يُسْترِكْ عَالي العُلْيَا رَاهْ ارْفِيقكْ مَكْنُه رَامِي عَطَّابْ

وَاهْ الظَّنْ يْخيبْ فيَّ يَا خُويَا وَ انَا بْحر غْميقْ لَسْرَارِكْ مُهَابْ

إِينَجِّيكْ الله من كُلْ بْليَة عند الخَاوَة هَكَذَا ظَنَّتْ لَحْبَابْ

ثَبَّتْ نَظْرِكْ شوفْ منْ ذا النَّاحيَة واسْتَخْبَرْفِيمَا خْلَقْ مَالكْ لَرقَابْ[8]

وتحصل المفاجأة عندما شاهد هذا الرفيق نجمة مضيئة تتلألأ وسط الغيوم، لا تشبه غيرها من النجوم، ولا أحد يعرف لها اسمًا أو طريقاً:

لَاحْ بْعَيْنُو شَافْ نجْمَـة ضَوَّايَة كي برْزتْ بَنْوَارْهَا منْ وُسْطْ سْحَابْ
مَا هيَ في حَيْزالنّجُومْ المَسْميَّة وْلاَ يَعْـرَفْ تَقْوِيمهَا شَاطرْ حَسَّابْ
كُلْ مْنَجَّمْ دَهْشَـاتُه ذا الرُؤْيَـة بَحْثُوا عَنْ تَعْدِيلْهَا وَاحدْ مَا صَابْ
هَذي دُرَّة في خْزَاينْ مَحْضيَّـة يَقْدَحْ منْهَا نُورْبالحكْمَـة لَهَّابْ[9]

ويرحل الشاعر بفكره وخياله إلى من سبقه من العُشَّاق العرب، فيذكر مثلا: قيس بن الملوح (مجنون ليلى)، ليؤثّر في المتلقي، ويُظهر ثقافة واسعة وشاملة يمتلكها هذا الشاعر، وليس غريبا عنه، فهو الذي نشأ وترعرع ورضع علوم اللغة العربية منذ صباه.

من هي هذه الدُرَّة يا ترى !؟ ومن تكون هذه النجمة الساطعة وسط الظلام الدامس !؟ يجيبنا الشاعر قائلاً:

الـدُّرة مِثَـال صَادفْ مَعْنَايَا أَنَا بِيَّ سَابغْ العَيـنْ ولَهْـذَابْ
مَا رَدَتْ لِي بَالْ طُفلَـة غُريَّـة جَرْحتْنِي بجْرَاحْ مَا يَنْفَعْ طَـبَّابْ
ابن سينَا شيخْ في الطِّبْ احْكَايَة قَّال العشْقْ اذَا امْكنْ مَا لُه تطْبَـابْ
إذَا قَـالُوا قَيـسْ قَيسْ المَعْنَايَ تَلقَانِي كِي قَيسْ حَـاملْ كُلْ عْذَابْ
إذا قَالُوا جَـنْ مَا ثَمَّ حْكَايَة اللّي بِيَّ خيْرمن لَيلَى تنصَابْ
مَا تلقـاشِي حَدْ عَاذبْ في الدُّنيَا مثْلْ العَاشقْ شُوفْ من شَاوُوْ لَعْقَابْ[10]

ليس غريبا أن تكون هذه المعشوقة فتاة جميلة ذات حسب ونسب، سرقت قلب الشاعر وتركته مُدْمًى، لا ينفكُّ يذكرها فيتألم قلبه ويبكي لوعته، وينظم في حُسنها شعرًا رقيقا عذبًا ينساب مع القوافي انسيابًا، ويجري من الشاعر مجرى دمه في شرايينه وأوردته.

يوصينا الشاعر وصيته الأخيرة، ويذكّرنا بعدم لومها على ما فعلته به من هجر. يقول:

انْوَصيكم يا رْجَالْ اللَّزْمِيَّة إذا متْ بْليعْـتي هِيَ الاسْـبابْ
اتْهَلُّوا لا تُطُلْبُوهَا في الدِّيَّة رَبِّي دَارْحْسَابْ في لَاخْرَة وعْقَابْ[11]

وهكذا يختم الشاعر قصيدته بالتوسل إلى المولى عزَّ وجلَّ أن ييسر له أموره، وأن يغفر له ذنوبه، وأن يتجاوز عن سيِّئاته.

خاتمة:

مات الشاعر "عبد الله بن كرّيو" في الواقع، ولكنه أبدًا لم يمت في ذاكرة عشاق الشعر الشعبي، حيث خلَّده التاريخ بأحرف من ذهب، وخَلَّدَ قصائده التي تُعَدُّ من أجود ما قيل في الشعر الشعبي لحدِّ اليوم، ولا تزال قصائده بحرًا عميقا يجب الغوص في أعماقه لاستخراج أبهى الدُرر وأغلى النَّفائس.

الهوامش:

1- إبراهيم شعيب: ديوان عبد الله بن كرّيو، مطبعة رويغي، الأغواط، ط2، 2004، ص: 20.

2- ينظر: المرجع السابق، الديوان، ص: 22/21.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 24/23.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 24.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 27/26.

6- ينظر: المرجع السابق، الديوان، ص: 27/ 28.

7- الديوان، ص: 71.

8- الديوان، ص: 71.

9- الديوان، ص: 71.

10- الديوان، ص: 72.

11- الديوان، ص: 72.